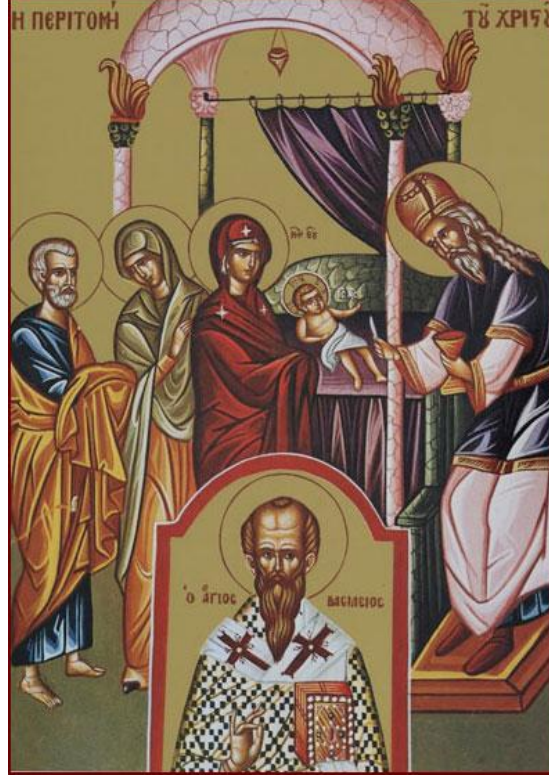


## ١ كانون الثاني

✠ ختانة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد - القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوك - القديس الشهيد ألماخوس - القديس غريغوريوس أسقف نازيانزا



ختانة ربنا يسوع المسيح - القديس باسيليوس الكبير

### القديس ألماخوس

القديس ألماخوس ناسك من المشرق، هاله ما يفعله المصارعون حين يفتكون بعضهم ببعض فتهلك بسبب ممارستهم الشيطانية نفوس عديدة . سافر إلى رومية، دخل فيما بين المصارعين وهم يتقاتلون فمزقوه إربًا. كان ذلك في العام ٤٠٤ م. دمه المهراق لم يذهب سدى. فمن ذلك الوقت منع الأباطرة عادة سفك الدم بين المتصارعين.

## ختانة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

"وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينك. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة... فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدي" (تكوين ١٧: ٩ - ١٤).

هذا كان كتابيا، أصل الختانة ومرماها عند اليهود. فرضها الرب الإله على شعبه لتكون علامة في اللحم لإتمائهم إليه، وكذلك سمة للعهد المقطوع بين الله، من جهة، وإبراهيم ونسله من بعده، من جهة أخرى.

ولكن لم تكن الختانة قصرا على الصغار بل كانت للكبار أيضا. وفي زمن موسى النبي قضي بأن لا يأكل الفصح إلا المختونين. في زمن الرب يسوع، كانت عادة الختانة راسخة. وقد قبل السيد له المجد، ختانة بشرية لأنه أرتضى، من اجلنا، أن يقيم تحت الشريعة.

على أن أقتبال السيد لختانة اللحم أبطلها. فالختانة كانت إليه. كانت علامة ظلية للأتماء إليه. فلما اتخذها وضع لها حدا. لذا نردّد "أن الختانة قد بطلت مذ اختن المسيح باختياره".

ارتبطت الختانة بالشريعة. فلما أكمل الشريعة في جسده تحطّأها ليجعلنا لا تحت الشريعة بعد بل تحت النعمة. والأتماء إلى النعمة استوجب علامة من نوع آخر. وهي المعمودية التي صارت البديل. وإذا كانت الختانة القديمة قد اهتمت بقطع اللحم، فالختانة الجديدة، أي المعمودية، تهتم بنبذ الخطيئة. او بكلام أشمل، بخلع جسم خطايا البشرية.

هذا وقد حاول بعض المؤمنين بالمسيح من اليهود التمسك بختانة الجسد معتبرين إياها ضرورية للخلاص، فتصدّى لهم الرسول بولس قائلا: "اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا".

هذا وأن نقاط الدم القليلة التي بذلها المسيح يسوع طفلا في الختانة كانت مقدّمة لبذل دمه كاملا عن البشرية جمعاء على الصليب وإذ كانت ختانه في اليوم الثامن أعلن لنا، في ذاته زمانا جديدا يتخطى هذا الزمان: زمان الملكوت. آباؤنا، وكذلك نصوصنا الليتورجية، يشيرون إلى اليوم الثامن هذا باعتباره "ربما للدهر الآتي" (صلاة السحر - الأودية الأولى). زمان هذا الدهر ممثل بيوم السبت، أي باليوم السابع، أما اليوم الثامن فلا ينتمي إلى هذا الزمان. لذا اتخذ آباؤنا علامة الدهر الآتي. هو الثامن لأنه تخطى زماننا المحصور في سبعة أيام، وهو الأول لأنه بداية الزمن الجديد.

ثم أن الرب يسوع أتخذ اسمه في هذا اليوم، الإسم الذي قال بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيليبي ان الآب السماوي أعطاه إياه "أسما فوق كل أسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب مجد الله الآب" (٢: ٩ - ١١). يسوع معناه المخلص، وهو علامة كلامية لحضور الله معنا وفيما بيننا. لهذا السبب لم ولن تكف الألسنة والأفئدة عن ترداد الإسم المبارك لأنه استدعاء له وعيش فيه إلى ان يجيء في ملء حضوره في مجيئه الثاني. أنه الأتي إلينا أبدا. "أيها الرب يسوع المسيح تعال!" لذا نحسب اليوم أيضا عيد اسم الرب يسوع له المجد.

### القديس باسيليوس الكبير

ولد القديس باسيليوس الكبير أواخر العام ٣٢٩ م، في قيصرية الكبادوك، التي كان لسكانها لكنة فظة قاسية على آذان الهيلينيين. وكان عنوان العائلة التي احتضنته التقى والولاء للرب يسوع، ولها الحياة النسكية فخر واعتزاز. وأنشأت القديس باسيليوس جدته مكرينا الكبرى على الفضيلة، وقد ذكر، في غير مناسبة، انه لم ينس طيلة حياته ما خلّفته في نفسه مواعظ جدته ومثالها الطيب. وربّاه والده على محبة الكلمة وجمال التعبير وحسن الأداء. فلما رقد أبوه تردّد على دور العلم في قيصرية لبعض الوقت ثم انتقل إلى القسطنطينية، ويبدو ان أحد معلّميه كان ليبانيوس المعروف الذي شهد أنه كان يشعر بالغبطة كلما سمعه يتكلّم. أقام في أثينا خمس سنوات حيث كان يدرس على كبار معلّمي زمانه التاريخ والشعر والهندسة وعلم الفلك والمنطق والبيان والفلسفة والطبابة العملائية. وقد تمكّن جيدا مما تعلمه وبرز فيه.

لما غادر القديس باسيليوس إلى أثينا لمتابعة دراسته، حوّلت أخته مكرينا البيت العائلي إلى ديرا منشئة رهبنة نسائية، وكانت قد التزمت العفة بعدما توفي خطيبها. وانضمت إليها والدتها، ورافقها بطرس، أصغر الأبناء، فيما اعتزل نكراتيوس برفقة خادم في مكان ما من البنطس وسلك في الفضيلة. ولما عاد باسيليوس إلى قيصرية اكتشف تغييرات جمّة حصلت في محيطه العائلي، لم يبال أول الأمر وقد أصبح أستاذا في البيان والخطابة وراج صيته فانتفخ. خشيت عليه أخته مكرينا، واتهمته بالاستكبار واحتقار الناس والأدّعاء، لكن هذا الكلام الذي أثار فيه لم يغيّره، إلى أن حلت به الصدمة! وذلك عندما توفي أخوه نكراتيوس الذي كان يصغره بسنة، وهو لا يشكو من أي مرض. إذ ذاك بان لباسيليوس بطلان ما حصل حصّله في أثينا وما سار عليه، فجلس عند قدمي أختع مكرينا يتعلم منها سرّ التخلي وحياة الفضيلة. ثم اقتبل سر العماد. وقد روى القديس باسيليوس قصة هدايته في الرسالة ٢٢٣ فقال: "بعد أن أنضيت زمنا طويلا في الأباطيل وصرفت عهد شبابي في الكدّ والجدّ في تحصيل

العلوم وبلوغ حكمة تنكرها الحكمة الإلهية، صحت يوما كما يصحو النائم من رقاد عميق، ولحت النور الباهر المشرق من تعليم الإنجيل، فعرفت بطلان الحكمة التي كنت قد تعلمتها وأدركت فراغها وزوالها و أسفت أسفا شديدا على ما مرّ من عمري حتى الآن... فتشت عن صديق يدلني على طريق التقوى... وأصبح جلّ أهتمامي ان أعمل على إصلاح أخلاقي بعد أن أفسدها طول اختلاطي برفقاء السوء، ثم قرأت الإنجيل ورأيت ان لا سبيل إلى بلوغ الكمال إلا بأن يبيع المرء ما له ويعطي الفقراء نصيبهم ويتخلّى عن مطامع الحياة جميعها حتى لا يبقى للنفس ما يعكّر صفوها من كل ما في الدنيا."

### نحو الرهبنة

قام برحلة إلى المراكز البارزة للحياة الرهبانية في العالم المسيحي: مصر وفلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين. أذهله تقشّف النسّك وعكوفهم على الصلوات الطويلة. ومكّنته المعطيات التي اجتمعت لديه من تبين مخاطر العزلة الكاملة وضرورة إيجاد طريقة تجمع، في أن، ما بين المرونة والدقة بحيث تحافظ على خير ما هو موجود وتنميه وتجنب ما هو مشكوك فيه وتلغيه. فلما عاد إلى بلاده في الكبادوك بدا مستعدا للخوض في خبرات وتأمّلات رهبانية أبرزت اتجاهاته الشخصية في هذا الشأن.

### رهبنته

أختار القديس باسيليوس، مكانا اعتبره أكثر الأمكنة التي عرفها ملاءمة للحياة الرهبانية: إيبورا الواقعة على ضفة نهر إيريس مقابل "أنيسي" حيث أنشأت أخته مكرينا ديرها. و انضم إلى باسيليوس بعض طلاب الحياة الرهبانية، وكذلك، ولو بعد ترّدّد صديقه الصّدوق غرغوريوس اللاهوتي.

حصر باسيليوس اهتماماته في أربعة: الإحتلاء، الصلاة الممتزجة بالنشيد والتسبيح، قراءة الكتاب المقدّس وكتب الآباء والتأمل. وها هو هذا الإنسان الذي تربى في الغنى والبجوحة يعيش في عزلة ناكل الجسم، شاحب الوجه بسبب الصوم، عائشا دون امرأة ودون خيرات البتة. كما أضحي دون لحم يغطي جسمه ودون دم يجري في عروقه. وقد ورد ان باسيليوس وصديقه غريغوريوس كانا يعملان بايديهما ويمعلان الحطب وينقلان الأثقال وان آثارها بقيت طويلا. كذلك قيل ان الخبز الذي اعتادا تناوله كان جافا وسيء الصنع وشاق المضغ.

كان القديس باسيليوس في رهبنته، عنيفا حيال نفسه. فولاذي المعدن. اهتم القديس باسيليوس بالهبة المشتركة ووضع لها قواعد تحكمها. ولنا منه القوانين المطوّلة الخمسة والخمسون والقوانين المختصرة الثلاثمائة والثلاثة عشر. موهبته كمشرّع كانت فدّة. لكنه لم يغفل أهمية المناسك قريبا من الأديرة المشتركة.

## كهوته

صار القديس باسيليوس قارئاً عام ٣٥٩ م وشماساً سنة ٣٦٠ م وكاهناً سنة ٣٦٢ او ٣٦٣ م وصار رئيس أساقفة قيصرية سنة ٣٧٠ م. علاقته بالأساقفة كثيراً ما كانت موجعة. ديانوس الضعيف وقع دستور إيمان هرطوقيا فقطع باسيليوس الشركة معه لبعض الوقت. و أسفافيوس الذي سامه كاهناً اصطدم به مرات. وكان الرجلان يتجادلان باستمرار، والغيرة استبدت بالأسقف إلى حد أنه لم تعرف أسباب الخلاف بينهما. فعاد باسيليوس إلى إيورا. وقد راودته فكرة الوقوف في وجه الأسقف. وحتى مقاومته، ولعب صديقه القديس غريغوريوس اللاهوتي دور المهدىء، فسكت ولو على مضض. وما لبث أسفافيوس الأسقف أن استدعى باسيليوس من جديد لجلسته إليه إثر تويي والنس الآريوسي السلطة (٣٦٥ م). القديس غريغوريوس اللاهوتي توسّط فكتب لباسيليوس قائلاً: "عجّل بالرجوع إلى قيصرية. الأسقف يبدي نحوك العواطف الكريمة المتوسّلة... أعداء الإيمان القويم ينشطون... الحقيقة في خطر".

توفي أسفافيوس سنة ٣٧٠ م وانطرح موضوع خلافته. حميت المعركة. الآريوسيين كانوا أقوىاء، والفريق الأرثوذكسي مشّتت. لعب غريغوريوس الشيخ، والد القديس غريغوريوس اللاهوتي، دوراً بارزاً. وتمكن من استقطاب العديدين. وقد اشترك أساقفة من خارج حدود المتربوليتية في اختيار رئيس الأساقفة الجديد. والجواب باسيليوس. وإحدى المآخذ عليه كانت إنه مريض، فسأل غريغوريوس المعارضين: ما المطلوب؟ أسقف أم مصارع! ثم القداسة واعتلال الصحة يسيران يدا بيد!

على هذا النحو ربح باسيليوس معركة، ولكن كانت بانتظاره معارك. معركة الفساد في صفوف الكهنة كانت إحداها.

فبعد سنتين من تولّيه الأسقفية قال: "بادت كرامة الكهنوت! ليس بعد من يرعى رعية الرب بحكمة. قوم متكبرون يبدّون مال الفقير على ملذّاتهم وتوزيع الهدايا. ليس بعد حفظ القوانين مصوناً. إجازة ارتكاب الخطايا باتت وسع الأرض. والذين وصلوا إلى مناصبهم بالحباة يردّون لسادتهم الجميل بغض الطرف عن الخطايا والموبقات التي يرتكبونها. الحكم بالحق مات. كل يتبع نزوات قلبهز تحطّي الشر الحدود".

## مراجعة ومرض

سنة ٣٦٨ م حلت بقيصرية الفواجع، من عواصف البرد والظوفان إلى الهزات الأرضية، فالجفاف. وشحّت المواد الغذائية، وحصلت المجاعة. "وفاق كل هذا فظاعة مشهد القسوة والجشع عند التجّار والملاّكين". أما باسيليوس الذي كان كاهناً انبرى لعمل الرحمة بلا هوادة. فنظّم مخزناً شعبياً جمع فيه ما تيسّر له من أغذية وثياب، أخذ يوزّعها بنفسه على البائسين والفقراء والمسنّين. كان يطعم

الجائعين يديه ويغسل أقدامهم ويطوف على المرضى والمحتاجين بثيابه السميكة المغبرة في عزّ حر شهر آب. كذلك رفع صوته في مواعظ ألهمت النفوس أكثر مما ألهمت الشمس الأبدان. كثيرون فتحوا مخازنهم وبيوتهم على الأثر. وإلى تلك الفترة تعود أهم مواعظه في شأن العناية بالفقراء.

### صراعه مع السلطة

بقي الصراع بين القديس والأمبراطور والنس الآريوسي خفياً لبعض الوقت، حتى أصدر الأمبراطور مرسوماً بتجزئة قيصرية من أجل إضعاف القديس وسحقه، فما كان من باسيليوس إلا أن رفع عدد من كنائس القرى إلى أسقفيات. وبعد ذلك أرسل الأمبراطور إليه موفداً ليعرض عليه الإذعان للهرطقة الآريوسية أو التخلي عن إدارة الكنيسة، ولما رفض الأمر عزم على نفيه لكن الأمر لم ينجح.

ومن الأعمال الملفتة التي أطلقها القديس المدينة الباسيلية والتي هي عبارة عن مشروع يضم مستشفى ومدارس مهنية ودور للأيتام وملاجئ للبرص وفنادق وكنائس.

### رقاده

رقد القديس باسيليوس الكبير في أول كانون الثاني من العام ٣٩٧م. عن عمر ناهز الخمسين.

### القديس غريغوريوس أسقف نازيانزا

هو والد القديس غريغوريوس اللاهوتي، كان قبل معموديته عضواً في شيعة جمعت الوثنية إلى بعض العادات اليهودية. زوجته نونا القديسة، كان لها دور كبير في انتشاله مما هو فيه وهدايته إلى المسيحية. أبدى، بعد هدايته، فضائل جمّة. اختير أسقفاً لنازيانزا سنة ٣٢٩م. أضحت هذه المدينة الصغيرة، في أيامه، قلعة من قلاع الإيمان القويم في زمن تفتت الآريوسية في كل مكان وأندرت بأخطار العواقب. سخاؤه على الفقراء كان بلا حدود. اعتاد أن يقيم القداس الإلهي كل يوم. كان محباً للصلاة واعتاد أن يواجه المصاعب والملّمات بالصلاة أولاً. ساهم مساهمة معالة في اختيار القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة على قيصرية. عاش إلى مئة عام مكتملاً بالفضائل.

### الطروبارية

+ أَيُّهَا الرَّبُّ الْجَزِيلُ التَّحَنُّنِ، إِنَّكَ وَأَنْتَ إِلَهُ بِحَسَبِ الْجَوْهَرِ قَدْ اتَّخَذْتَ صُورَةً بَشَرِيَّةً بَعِيرٍ اسْتِحَالَةً وَإِذْ أَتَمَمْتَ الشَّرِيعَةَ تَقَبَّلْتَ بِاخْتِيَارِكَ خَتَانَةً جَسَدِيَّةً لِكَيْ تَنْسَخَ الرَّسُومَ الظَّلِيمَةَ وَتَزِيلَ قَنَاعَ أَهْوَائِنَا، فَاجْهَدْ لَصَلَاحِكِ، الْجَدُّ لَتَحَنُّنِكَ، الْجَدُّ لَتَنَازِلِكَ الَّذِي لَا يُوَصِّفُ أَيُّهَا الْكَلِمَةُ.

+ في كلِّ الأرض المتقبَّلة أقوالك، قد خرجتْ نغمتُك أيها البار، التي بها كما يليق بالله شرعتْ  
وأعلنتْ طبيعة الكائنات، وثققتْ أخلاق البشر، يا ذا الكهنوت الملوكي باسيلوس، فتشفعْ إلى المسيح  
الإله أن يخلص نفوسنا.